

نقد التراث والآخ عند حسن حنفي

جلید قاده(*)

لا شك أن المتتبع للحركة الفكرية المعاصرة في العالم العربي الإسلامي اليوم، يدرك وهذا دونما عناء في التفكير أو إصدار للحكم، أن المفكر العربي الكبير حسن حنفي بمشروعه الفلسفي والحضاري الضخم "التراث والتجديد" يعد من القلة القليلة بين المفكرين العرب الذين يجمعون في منهجيتهم فكرية والنقدية بين التفكير الفلسفي المحترف والدعوة العملية للتغيير الاجتماعي واستبدال الواقع المعاق بواقع طموح. فالفكر النظري في فلسفته لا ينفصل عن الفكر العملي كما لا ينفصل التنوير عن التحرير، ولا غرو في ذلك، فمشروعه الفكري متعدد الجبهات والأهداف ويحمل الكثير من التحديات على شاكله "إما أن نكون أولا نكون" فهو يخوض لجة البحر العميق بكل ما أوتي من قوة وجهد من أجل أن تصل الأمة إلى شاطئ الأمان، وهو يكتب لجميع المستويات ولكل الأطياف الفكرية والاجتماعية على اختلافها وتفاوت درجة وعيها، وهذا هو شأن المفكر الملتزم والسنول الذي يعيش وسط الناس وضجيجهم متحمسا في ألم عقل الأمة العاطل وأطرافها المقيدة بتقل الواقع متحمسا في أمل لإعادة البعث والبناء، بحث حوار نقدي ومعقول بين الماضي والحاضر وبناء إنسان عربي جديد يستجيب للمرحلة التاريخية الجديدة وهذا هو جوهر مشروعه الفلسفي الكبير: "التراث والتجديد" الذي يتحدد بثلاثة عناصر أساسية:

١- موقف من التراث القديم (الأنا)

٢- موقف من التراث الغربي (الآخر)

٣ نظرية التفسير (بناء العلاقة بين الأنا والآخر)

(*) . معهد العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، الجزائر .

إن التراث والتجديد إذن هو صلب المشروع الفلسفي والحضاري عند حسن حنفي وهو مشروع ذو جبهتين: الجبهة الداخلية والجبهة الخارجية، جبهة الأنا وجبهة الآخر، مشروع يسعى إلى ترميم صورة الأنا كما ورثناها من حطام الماضي السحيق بكل سلبياته وإيجابياته وبناء صورة جديدة في إطار نسيته وتاريخيته وشروطه المنتجة له. ومن ثم في هذه الدراسة سوف نحاول أن نقرب من بعض الأسئلة الجوهرية التي يطرحها حسن حنفي في مشروعه الفكري والتي تعتبر أسئلة أساسية ومضيئة في بناء نظرية التاريخ: التاريخ العربي وما يحمله من عوائق وإمكانيات والتاريخ الغربي وما يحمله من إنجازات وقيود.

إن الإشكالية النظرية والاجتماعية والحضارية للتراث والتجديد عند حسن حنفي ليست إشكالية طارئة في الفكر العربي المعاصر، بل هي إشكالية عضوية وصميمة في هذا الفكر منذ عصر النهضة وإلى اليوم هذه الإشكالية التي تتمحور أساسًا حول أسئلة النهضة والتقدم والبناء، محاولة اللحاق بالركب الحضاري، ومن هذا المنطق، فإن "التراث والتجديد هو الوريث لحركات الإصلاح الديني الحديث التي بدأت منذ أكثر من قرن من الزمان وهي العملية التي تصب فيها كل محاولات التغيير الجذري للقديم إما على المستوى الفكري أو مستوى الواقع"^(١).

وإذا كان يبدو واضحًا أن حسن حنفي قد إنخرط وانتظم تاريخيًا وفكريًا في سياق إشكالية عصر النهضة وهي "كيف تأخر المسلمون وتقدم غيرهم" وكيف نغير الواقع العربي ونحقق الهدف العربي المتمثل في التجسيد الفعلي للنهضة والتنمية والبناء الحضاري، فإن هذا لا يعني أن حسن حنفي يقاسم كتاب النهضة والحدثة منهجياتها المطبقة في قراءة التراث، تراث الأنا وتراث الآخر، فالتراث عند حسن حنفي ليس إرثًا ماديًا يمكن إن نتخلّى أو نتنازل عنه في أي لحظة من لحظات التاريخ، بل هو

(١). حسن حنفي: التراث والتجديد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان، ط٤، ١٩٩٢

مسألة شخصية مرتبطة بوعينا وشعورنا فالذى يكتب عن تراثه إنما يكتب عن نفسه بشكل أو بآخر. والتراث لا يوجد وراءنا بل يوجد أمامنا لأننا معرضون إليه ولأنه قدرنا.

إن مسألة تجديد التراث عند حسن حنفي ليست مسألة نظرية مجردة أو ترفا فكرياً أو قضية ثقافية محايدة، بل هى عملية حضارية تجمع بين الوعى والمسئولية من جهة، والإلتزام بقضايا الأمة والمجتمع والتاريخ من جهة أخرى، "من أجل المحافظة على الإستمرار فى الثقافة الوطنية وتأصيل الحاضر ودفعه نحو التقدم والمشاركة فى قضايا التغيير الإجتماعى"^(١). وهذه العملية من شأنها أن تعمل على إعادة صياغة جديدة للذات العربية بعد تخليصها من حطام الماضي وأوهام الحاضر، ذات عربية واعية بوجودها وبرسالتها فى التاريخ، وهذه العملية فى نظر حسن حنفي لا تتحقق إلا بمباحثة نقدية وتجديد وصياغة فلسفية وتاريخية لمجموعة من العناصر الأساسية.

١- تغيير المحتوى النظمى للإنسان:

يعتبر عنصر الإنسان عند حسن حنفي جوهر العملية النهضوية والتنمية فى كل مجتمع وفى كل حضارة وهو الرأسمال الحقيقى فى كل بناء إجتماعى وتاريخى "التصنيع والإصلاح الزراعى قد يتحطمان لأن الإنسان -وهو العامل والفلاح- لم تتم إعادة بنائه ووضع فى العالم وظل متخلفاً عن مظاهر التقدم والثورة الصناعية والزراعية فى البلاد النامية لا تتم إلا بعد القيام بثورة إنسانية سابقة عليها وشرط لها"^(٢). ونظراً لأهمية العامل البشرى فإن حسن حنفي يدعو إلى بناء الإنسان العربى من الداخل قبل تحميله مسؤولية البناء الحضارى، فالتاريخ مثلاً يسجل لنا الكثير من التجارب التنموية التى فشلت فى العالم العربى وأخرى لم تحقق أهدافها كاملة لأنها

(١). نفسه، ص: ١٣

(٢). نفسه، ص: ١٣

غُيِبَت دور الإنسان وقوته الخلاقة فى تصور مشروعاتها التنموية، فالإنسان واقع نفسى وأخلاقى قبل أن يكون واقعا فيزيائيا وهو غاية البناء وليس وسيلة له فقط.

وإنطلاقاً من هذا المبدأ يرى حنفى أن غياب موضوع الإنسان فى فكرنا الإقتصادى والإجتماعى المعاصر أو تحجيم دوره فى إستراتيجية التنمية والبناء يرجع أساساً إلى غياب البحث فى الإنسان كبعد مستقل فى تراثنا القديم، وبالتالى إمتداد الماضى فى الحاضر يقول حنفى: " إذا كنا نبني ونعمر ثم ينهدم البناء ويخرب العمار فإن ذلك يعود إلى غياب الإنسان كبعد مستقل فى تراثنا القديم وحصاره فى الإلهيات والطبيعيات فى علوم الحكمة وإبتلاعه فى علم التوحيد وفنائه فى علوم التصوف ومحقه فى علوم التشريع"^(١).

وبناء على هذه المعطيات التى تربط بين حقائق الحاضر والماضى فإن حنفى يرى أن الماضى والحاضر لا يزالان يشكلان وحدة عضوية فى شعورنا ووجداننا اليوم، وأن الكثير من سلوكياتنا وممارستنا قد نجد لها أسباباً وذرائع تبررها من الماضى، وكنتيجة منطقية ومعرفية لعلاقة الحاضر بالماضى فى وعينا المعاصر يغدو: "تحليل التراث هو فى نفس الوقت تحليل لعقليتنا المعاصرة وبيان أسباب معوقاتنا. وتحليل عقليتنا المعاصرة هو فى نفس الوقت تحليل للتراث لما كان التراث القديم مكوناً أساسياً فى عقليتنا المعاصرة. ومن ثم يسهل علينا رؤية الحاضر فى الماضى ورؤية الماضى فى الحاضر فالتراث والتجديد يؤسسان معاً علماً جديداً وهو وصف للحاضر وكأنه ماضى يتحرك ووصف للماضى على أنه حاضر معاش"^(٢).

إن هذه الوضعية المزدوجة التى يعيشها الإنسان العربى اليوم فى وعيه وسلوكه من خلال هذا الوعى الزائف بالزمن وبلحظات التاريخ هى التى تجعله اليوم عديم

(١). نفسه، ص: ١٧

(٢). نفسه، ص: ١٩

الفعالية والإبداع والإبتكار، وبالتالي كان من الضروري والأولى أن نبدأ فى تغيير المحتوى النفسى للإنسان، تغيير الأفكار الميتة والقاتلة إستبدالها بأفكار حية وبناءة، فالواقع واقع نفسى بالدرجة الأولى وعندما نغير ما بأنفسنا سيتغير ما حولنا.

وإنطلاقاً من هذه الرؤية فإن حنفى يخلص إلى نتيجة جوهرية وهى أن الواقع فى أساسه "أبنية وسلوك ومواقف وإتجاهات، بل إن الإتجاه النفسى هو الواقع كله والواقع المصمت لا يتحول إلى واقع إجتماعى إلا من خلال سلوك الجماهير وإتجاهاتها ومواقفها، الواقع الحى أبنية نفسية وعقبات إجتماعية وتصورات للعالم"^(١).

ومن أجل تجاوز هذه المشكلة الحضارية فإن حسن حنفى يقدم للإنسان العربى القاعدة النظرية فى مشروع "التراث والتجديد" لحل عقده النفسية والفكرية ومشاكله الحضارية حتى يصبح عنصراً فعالاً لا منفعلاً، محرراً لا تابعاً متطوعاً إلى مستقبل لا إلى الماضى، ومن هنا تصبح " قضية التراث والتجديد هى الكفيلة بإعادة بناء الإنسان فى البلاد النامية عن طريق إكتشافه لبعده التاريخى وإعطائه أسساً نظرية للتعبير وتفجير طاقاته المخزونة وخلق ثقافته الوطنية وتحريك الجماهير السلبية وإنزالها بكل ثقل إلى ميدان التطور والتنمية"^(٢).

وإذا كان لكل علم مهمة أو غاية شريفة يقصد إليها فإن مهمة التراث والتجديد هى "تفجير طاقة الإنسان الخترنة المحاصرة بين القديم والجديد كحصار الإنسان فى اللاهوت المسيحى بين آدم والمسيح، بين الخطيئة والفداء"^(٣).

إن تفجير الطاقة الذاتية المعطلة للإنسان العربى اليوم وتغيير محتواه النفسى وتصحيح أفكاره ومبادئه هى الرهان الوحيد الذى يوجد أمامنا اليوم والذى يجعلنا ننتقل

(١). نفسه، ص: ٥٣

(٢). نفسه، ص: ٤٩

(٣). نفسه، ص: ٥٢

من الزمن المتخشب إلى الزمن الحي، من الزمن الهائم إلى الزمن العلم، وأخيرًا وليس آخرًا من اللاتاريخ إلى التاريخ.

٢- أسبقية الواقع على الحاضر،

إن حسن حنفي عندما يتناول إشكالية العلاقة بين الواقع والفكر في مشروعه الحضاري لا يتناولها في إطار الإشكالية الفلسفية التقليدية التي تكسرت على صخورها رؤوس الفلاسفة، وهي أيهما أسبق: الفكر أم الواقع؟؟

إن حنفي يتجاوز هذا الطرح المجرد الذي يقسم تاريخ الفلسفة إلى تيارين متعارضين "المادية والمثالية" منذ أفلاطون وإلى اليوم. إذن فما فهي نظرة حنفي لطبيعة العلاقة بين الفكر والواقع وفي مشروعه تحديدًا؟؟

إن حنفي في إجابته على هذا السؤال ينطلق من روح الحضارة العربية الإسلامية التي هي حضارة مؤسسة على النص حيث يرى أن القرآن الكريم وهو نص مقدس إنما جاء ليجيب على تساؤلات الواقع ومشاكله، فلم يكن نصًا مثاليًا مجردًا من إهتمامات الحاضر، بل نصًا حيًا يحمل في ذاته ملامح الواقع وسنن المجتمع والتاريخ، فالقرآن الكريم نزل لأسباب موضوعية وهذه الأسباب تشير إلى واقع معين يقول حنفي: "وإن ما عبر عنه القدماء باسم أسباب النزول لهو في الحقيقة أسبقية الواقع على الفكر ومناداته له، كما إن ما عبر عنه القدماء باسم الناسخ والمنسوخ ليدل على أن الفكر يتحدد طبقًا لقدرات الواقع وبناء على متطلباته، إن تراخي الواقع تراخي الفكر وإن إشتد الواقع إشتد الفكر، فالتراث إذن ليس له وجود مستقل عن واقع حي يتغير ويتبدل، يعبر عن روح العصر وتكوين الجيل ومرحلة التطور التاريخي"^(١).

وإنطلاقًا من هذا التصور العام الذي يحدد العلاقة الجوهرية والعملية بين الواقع والفكر فإن حنفي يرفض الفلسفات المريحة وأشكالها الحالمة التي تتطلق من الفكر وتنتهي إليه، وكل الفلسفات التي لا تتخذ موقفًا نقديًا وعلميًا من الحاضر وكثيرًا ما

(١). نفسه، ص : ١٥

تخطب وتعتقد أنها تفكر وتتفعل وتظن أنها تفعل وتزيف الواقع أو تتكره بدل أن تواجهه بكل حقائقه يقول حنفي: " وشتان ما بين الإحساس والواقع وفرق بين الإنفعال الذاتى والحقيقة الموضوعية، فالقيم السلبية تسلبنا المقاومة الفعلية ويقضى الحب على الصراع بين الأضداد ويهدم العقل تحت وطأة الإنفعال، يحول الواقع إلى مثال وهو مازال الواقع المضني"^(١).

إن المهمة الأساسية فى نظر حنفي والتي تسبق كل تغيير إجتماعى تتمثل فى ضرورة تحليل الواقع تحليلًا موضوعيًا بما يسمح لنا بالقبض على العناصر التى يتألف منها حتى نستطيع أن نميز فى هذا الواقع بين قيم التراث وقيم العصر حتى نستطيع أيضًا أن نختار المنهج الملائم لمواجهة محدثات وتجليات هذا الواقع مواجهة نقدية وبناءة وبالتالي كان من الضروري وإبتداء أن نعمل على "تحليل أبنية الواقع وإلى أى حد هى ناشئة من الواقع ذاته ودرجة تطوره أم أنها ناشئة من الأبنية النفسية للجماهير الناشئة بدورها من الموروث القديم"^(٢).

وبعبارة أخرى فإن هذه العملية النقدية والمعرفية الجريئة فى الفكر العربى المعاصر تود " الإنتقال من علم إجتماع المعرفة إلى تحليل سلوك الجماهير، أى من العلوم الإنسانية إلى الثقافة الوطنية إلى الثورة الإجتماعية والسياسية "^(٣).

وبناء على هذه القاعدة النظرية والثورية التى تؤسس لقيام علم جديد فى الفكر العربى المعاصر، فإن الفكرة عند حنفي تشير إلى الواقع والواقع يشير إلى الفكرة، فلا غربة ولا إغتراب ولا واقع بدون أسباب ومن ثمة كان التراث والتجديد عند حنفي هو "القادر على التنظير المباشر للواقع؛ لأنه يمد الواقع بنظريته التى تفسره والقادرة على

(١). نفسه، ص : ١٨

(٢). نفسه، ص : ٢٦

(٣). نفسه، ص : ٢٦

تغييره فالتراث هو نظرية الواقع والتجديد هو إعادة فهم التراث حتى يمكن رؤية الواقع ومكوناته^(١).

إن كان حنفي يعطى أهمية للواقع الحى فهذا لا يعنى أنه ينكر دور الفكر، بل يرى أن الفكر تعبير عن الواقع ومحرك له، أى أن الفكر لابد أن يتكيف مع متطلبات الواقع حتى يستطيع أن يكون فكراً فاعلاً ومغيراً يقول حنفي: "وسواء بدأنا من التراث لفهم الواقع أو التنظير المباشر للواقع، فكلا المنهجين النازل والصاعد يؤديان إلى نفس النتيجة. فلا الواقع يستنبط من الفكر ولا الفكر يأتى من الواقع المسطح الجزئى إن كان يأتى من الواقع العريض، وذلك راجع إلى واقعة الوحى الذى هو مصدر التراث وكيف أنه جاء تلبية لنداء الواقع وتكيف على أساسه^(٢)."

إن هذه المقاربة الثورية للفكر وعلاقته بالواقع عند حنفي تشير إلى قضية شخصية وتاريخية محددة وهى أن حنفي مفكر صاحب الفلسفة العملية لا الفلسفة النظرية ومشروعه للتغيير لا للتبرير، يعيش التاريخ فى وجدانه لا فى خياله، يعيشه كتجربة وعمل لا كترية وأمل.

٣- تحديد علوم التراث:

يرى حنفي أن التراث يحمل فى ذاته الكثير من الإمكانات والعناصر الإيجابية التى تجعلنا نستفيد منه اليوم فى بناء نهضتنا المأمولة، ولكن يجب أن ننظر له بشكل جديد ومنهج جديد يتلائم مع طبيعة المرحلة التاريخية، لأن العالم يشهد اليوم تطور فى المناهج والموضوعات، ولقد ترسخت فى العقلية المعاصرة النظرة العلمية الجديدة فى مقابل النظرة التقليدية القديمة، ولتحقيق هذا الهدف كان من الواجب أن نعمل على "نقل البناء النظرى السابق بعد نقده وتمحيصه على أساس نظرى جديد

(١). نفسه، ص: ٣٤

(٢). نفسه، ص: ٣٤

لإعطائه أبعادًا جديدة سواء من حيث اللغة التي يعبر بها ومن حيث الكشف عن مستويات جديدة للتحليل أو من حيث المادة التي يقدمها الواقع الجديد^(١).

إن القضية إذن هي قضية فهم التراث وإعادة اكتشافه من جديد في ضوء قيم البحث العلمي والروح العلمية حتى نخرج التراث من دائرة الإطلاعية إلى دائرة النسبية ونتحول من كائنات تراثية إلى كائنات لها تراث، لأننا في البحث العلمي " لا نتحدث عن نظريات ولا تصورات ولا مفاهيم مطلقة فكل نظرية وكل مفهوم يرتبط بسياق نشأته ويفترض أن أى تصور أو تغيير فى السياقات المذكورة يودى بالضرورة إلى لزوم إعادة النظر فى المقدمات والوسائل والنتائج"^(٢).

ويرى حنفى فى هذا السياق أن هناك نظريتين أو نعتين متعارضتين للتراث :
النعرة العلمية والنعرة الخطابية وأن الفهم الحقيقى للتراث يكمن فى تجاوز تهافت هاتين النظريتين من حيث المنطلقات. فما طبيعة هذه النظرة ياترى والعلاقة التى تقيمها هاتين النعتين مع التراث ؟

إن النعرة العلمية للتراث تعكس نظرة المستشرقين الذين يقرأون التراث مفصولًا عن الوحى أو يعتبرون الوحى جزء من التراث وينكرون البعد الإلهى لرسالة الإسلام ويخرجونه من دائرة الديانات السماوية باعتبار أن الوحى فى نظرهم تحريف وتلفيق لما جاء فى الديانة اليهودية والمسيحية وبالتالي " فالنعرة العلمية التى تقوم عليها مناهج المستشرقين تعنى دراسة الظاهرة الفكرية كظاهرة مادية خالصة وكتاريخ خالص مكون من شخصيات وأنظمة إجتماعية وحوادث تاريخية محضة يمكن فهمها بتحليلها إلى عوامل مختلفة سياسية واقتصادية واجتماعية تحدد نشأتها وطبيعتها"^(٣). وإذا كان هذا هو جوهر النعرة العلمية فما هو جوهر النعرة الخطابية ؟

(١). نفسه، ص : ١٤٩

(٢). كمال عبد اللطيف، الحداثة والتاريخ، أفريقيا الشرق، لبنان (ب.ط) ١٩٩٩، ص ٣٥

(٣). حسن حنفى، المرجع السابق، ص : ٧١

يرى حنفي أن النعرة الخطابية رغم أنها تنطلق من منطلق صحيح "التسليم بحقيقة الوحي" إلا أنها تقع في الكثير من التناقضات، وهذا بسبب اعتمادها لأسلوب العاطفة في مقابل المنهج العقلي وإفتقادها أيضا للوعي التاريخي الذي يجعلها تتعامل مع الواقع تعاملًا نقديًا ومتفاعلاً ويجعلها تستفيد من تجارب التاريخ، يقول حنفي: "بالرغم من أن النزعة الخطابية تعطي الأولوية للوحي على التاريخ إلا أن الاتجاه إتجاه ساذج يعبر عن نوع من المراهقة الفكرية حيث تسود العاطفة والإنفعال"^(١).

وفى نظر حنفي يكمن الفهم الحقيقي للتراث في التوفيق بين المنطلقات الصحيحة لكل نظرة منهما، وفي هذا الإطار يقول: "وإذا كان خطأ النعرة العلمية أنها تعرف كيف تقول دون أن تعرف ماذا تقول فإن خطأ النزعة الخطابية أنها تعرف ماذا تقول دون أن تعرف كيف تقول والتراث والتجديد لتفادى الخطأين معًا إذ يحاول أن يعرف ماذا يقول وهو التراث وكيف يقول وهو التجديد"^(٢). وبالتالي يكون التراث والتجديد قد أجاب على الأسئلة المستعصية في الفكر العربي المعاصر وهي كيف نقرأ ونفهم التراث؟ وكيف نستفيد منه في الحاضر؟

٤- جدلية الأنا والآخر:

يرى حنفي أن الأنا يتحدد بالآخر وأن بناء صورة الآخر في الذات هو جزء من بناء الذات نفسها، ولأن التاريخ في جوهره عملية جدلية، تأثير وتأثر " فتحدد موقفنا من التراث الغربي جزء من حركة التاريخ وتطور الحضارة وإستمرار لما بدأناه في العصر القديم كما أنه تحليل لواقعنا المعاصر الذي أصبح التراث العربي جزء من تكوينه الثقافي كما أنه واجب وطني وقومي من أجل تأصيل موقفنا الحضاري والقيام بالحركة التي لم نقم بها حتى الآن وهي معركتنا مع الثقافة الغربية الوافدة"^(٣).

(١). نفسه، ص : ٩٦

(٢). نفسه، ص : ١٠٥

(٣). نفسه، ص : ١٨٠

وحتى تتم إعادة بناء الذات بناء نقدياً واعياً في مقابل الآخر جاء حنفي بمفهوم "الإستغراب" الذي هو في جوهره "الوجه الآخر والمقابل بل والنقيض من الإستشراق هو رؤية الأنا "الشرق" من خلال الآخر "الغرب" يهدف علم الإستغراب إذن إلى فك العقدة التاريخية المزدوجة بين الأنا والآخر والجدل بين مركب النقص عند الأنا ومركب العظمة عند الآخر"^(١).

لقد سعى الإستشراق الغربي في نظر حنفي إلى تشكيل صورة نمطية للشرقي في الوعي لغربي قائمة على التزييف والتحريف التشويه وهي صورة غير صحيحة في أساسها فسي حين أنه إحتفظ لنفسه بصورة إيجابية تعكس قيم التفوق والعلم والإنسانية والهيمنة العالمية.

ومن هنا جاء علم الإستغراب ليقبّل الصورة أى القيام بتشكيل صورة حقيقية للإنسان الغربي في الوعي الشرقي من خلال دراسة الغرب في إطار شروطه الاجتماعية والتاريخية بإعتبار أنه نتاج ظروف ساهمت في تشكيله وبنائه وإبرازه ومن هنا إدراك نسبية الحضارة الغربية والتخلص من عقدة النقص والقابلية للإستعمار والإستعباد والتبعية.

وعندما نقوم ببناء صورة جديدة للأنا والآخر فإننا بذلك نسمح بتقارب الحضارات، الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية على الخصوص يقول حنفي: "الصور الذهنية هي التي تحدد الرؤية وتوجه السلوك ومن كثرة تكرار هذه الصور النمطية تتحدد الوقائع ويدون التاريخ ويورث للأبناء عبر الأجيال وإن محاربة هذه الصور الكاريكاتورية للأنا في ذهن الآخر وتطهير الآخر وعيه من هذه الصور لهو

(١). حسن حنفي، ماذا يعنى علم الإستغراب ؟ دار الهادي، لبنان، ط ١، ٢٠٠٠، ص: ٤٩

تحويل لهذا الالتقاء الحضارى من السلب إلى الإيجاب ومن التقابل إلى التفاهم ومن
العداء إلى الحوار^(١).

وكنتيجة لذلك تصبح أطروحة نهاية التاريخ وصراع الحضارات وكل
الأطروحات الاستعمارية والإستكبارية المرتبطة بها غير ذات معنى عندما نقارنها
بالأهداف الإنسانية والحضارية لعلم الإستغراب. ومن هنا يمكن أن نقول رغم أننا
نعتبر حسن حنفي مفكرًا إسلاميًا يحمل هموم الأمة وهموم العالم الثالث فإن هذا لا يقلل
من أنه مفكر إنسانى وعالمى يساهم بفكره المضيء فى إنقاذ الحضارة الإنسانية
والمصير العالمى، ذلك هو الهدف الخفى واللامنطوق فى مشروعه: " التراث
والتجديد".

(١). نفسه، ص : ١٥٢